

مكان عزلتك هذا، فتبعتك حتى ألفتك مغرقاً في هذا النوم الذي أغراه بك الجهد والإعياء. أليس هذا كل حديثك يا مولاي؟! أمحتاجة أنا إلى ذكاء الرجال أو إلى كيد النساء لأعلم علمه ثم لأعيده عليك كما كان؟»

وانتظرت أن يجيبها شهريار، ولكنه لم يُجر جواباً، فعادت إليه تسأله متلطفة: أمستخذون نحن من هذه القصة؟ إنها لا تدل على براعة ولا على مهارة ولا على قوة وأيد، وإنما تدل على ضعف وتهالك وانحلال في الأعصاب، ومن أجل ذلك فكرت في أن أطب لك حتى أشفيك من هذه العلة التي لا أعرفها وما أراك تعرفها، ولكني سأبرئك منها على كل حال. قال مبتسماً: «وكيف تبرئينني من داء لا تعرفينه؟» قالت في صوت المرحمة المتمرده: «فإني طبيبة لا كالأطباء، أدوي ما أجهل وأداوي ما أعرف، وربما كنت على علاج الداء المجهول أقدر مني على علاج الداء المعروف.» قال وقد اتسع ابتسامه وأوشك أن يكون ضحكاً: «وكيف ذاك؟» قالت: «ذاك أنني سأقلب نفسك على جميع وجوهها، وسأرسل عليها من نفسي قوة لا تعرفها ولا تقدرها، وسأرد عليك ما فقدت من بأس وأيد. إنك لا تعرفني. ألسنت تقول لي ذلك في كل وقت؟ قال شهريار حازماً: «فهذه علتني.» قالت: «سأبرئك منها.» قال: «ستعرفيني نفسك إذًا؟» قالت في كثير من الدل: «سأعزفك منها ما ينبغي أن تعرف لتسترد قوتك ونشاطك؛ ولتُعنى برعيتك هذه التي أخذت تهملها منذ حين. على أنني لا أدري لماذا تريد أن تعرفني! أضقت بحبي إلى هذا الحد؟»

فنظر إليها حائراً كأنه لم يفهم عنها. قالت في دلالة وحدة: «لا تنتظر إليّ هذه النظرات الحائرة! إنك ملك عظيم تدبر أمور رعية لا تكاد تحصى، وقد بلغت سنك هذه التي لا يبلغها الرجل حتى يكون قد خبر الدهر وانتفع بتجاربه. ألم تعلم بعد أن الحب لا يقتله شيء كما تقتله المعرفة؟ إن كنت زاهداً في حبي ضيقاً به، فإنني أستطيع أن أشفيك من علتك فأظهرك من نفسي على جميع أثنائها وأحنائها، ويومئذ تنصرف عني وتزهدي، ومن يدري؟! لعلك تلحقني بأولئك النساء اللاتي أرسلتهن إلى العالم الآخر، ولكنني أنا لم أزهد في حبك ولم أزهد في الحياة بعد، وإذا فلن أمكنك من الانصراف عني والزهد فيّ، وإذا فستسعى دائماً إلى أن تعرفني، وسيخفى دائماً عليك مني بعض الشيء، وستحبني ما دمت تجهلني، وستجد من هذه الحرب بين الحب والمعرفة قوة تحب إليك الحياة وترغبك فيها، ولكن أين نحن الآن من النهار؟ وأين نحن الآن من شئون الملك؟ وأين نحن الآن من شئون أنفسنا؟ ألا تحس ألم الجوع؟ إنني لا أكاد أستقر من شدة ما أجد من هذا الألم، ولكن انتظر قليلاً.» ثم تضرب إحدى يديها بالأخرى مرة ومرة، وإذا الخدم